جبال غير رحيمة وبيضاء
(الجزء الثاني)

تقديم وترجمة: أحمد يعقوب

أندرس سابيلا *Andres Sabella*
شكراً على طفولتك الكبيرة

«أحد الأصوات الغنائية الأكثر أهمية في تشيلي». هكذا يصفه الشاعر «ماتيّاس رفيدي»(1)، إنه يقول عنه: «أندرس مبدع بروح طفل، يداه تحولان كلّ شيء إلى شعر وصداقة، قصائده العنيدة تقدم لنا إنساناً صاحب جذور عميقة في التخيّل وله سيطرة مطلقة على الحرفة الشعرية وسحرها» .

والشعر يراه أندرس: «ثيابَ يوم الأحد بالنسبة للكلمات» والكلمة لـ «أندرس» تعني «الحياة» إذ يؤكد أنه: «بفضل الكلمة أنا موجود، أنا رجلٌ في خدمة الحب والسلام»، لهذا أطلق أندرس شعار «سلام وشعر» ليصبح «يافطة تعلق في جميع أنحاء تشيلي، انتشرت عبر بطاقات المعايدة، بل تم وضعها على علب الكبريت التي كانت تصدرها تشيلي ضمن صادراتها الخارجية»(2) .

يسكنه قلق دائم إزاء التخييل والأسطورة التي يحبّ اجتراحها بنفسه، لكن سعادته لن تكتمل إلاّ: «لو أنني عشت في «كشك» قديم على ضفتي البحر، ويكون ثمّة جسر يوصلني، كذلك مع قارب أتمكن من الكتابة فيه، كتابة كلّ ما أشتهيه يوماً بعد يوم، أن أكتشف شعراً في زهرة، في نظرة طفل في نوارسي، في التراب.. فأنا القرصان الأكثر سعادة عندما أتمكن من معانقة البحر..».

لكنه لا يكفّ عن تذكر ما أورثه إيّاه والده الفلسطيني: «كانت لوالدي نظرة بانورامية تجاه القدس، كلّ صباح كان يتأمل صورتها وكأنه يستمد منها الطاقة اللازمة كي ينطلق إلى عمله، وبشكل يوميّ كان يقودني إلى الصورة ويبدأ بالتأشير إلى قباب المساجد، الكنائس، المدينة القديمة، ويذكرني دائماً أنّه في

تلك الشوارع كان «يتعفرت» في طفولته، وكان يؤكد لي بصوت حازم وصارم: «ولدي فيك الكثير من هناك». وهكذا كان يحمّلني مسؤولية جرت في دمائي هي: «الاحتفاظ بالقدس في القلب»(3) .

لكنه يوازن في انتمائه بين فلسطين وتشيلي، إذ قال «نيرودا» عنه:

«أندرس سابيلا شماليّ، كما أنا جنوبي» .

تأخذه روحه الإنسانية الشمولية إلى منابع الآداب العالمية إلى «بودلير» و«روبن داريّو» و«ماتشادو» إضافة إلى التراث العربي الذي منحه ثراءً لغوياً وخيالاً فياضاً وحنيناً ناعماً .

بوهيمي خاص

في شبابه المبكر ترأّس مجلة (البردى / أوراق شعرية)، وفي العام 1930 ترأّس المجلة التي تـ صدر عن المدينة التي ولد فيها وتحمل اسمها (أنتوفاغستا *Antofagasta*)، كما أسس في 1933 مجلـ ـة «إلى» والتي وصلت أعدادها إلى المائة عدد، مما أعطاها مكانتها كإحدى أهم المطبوعات في الثقافة التشيلية .

وفي فترة دراسته الجامعية ترأس المجلة الناطقة باسم اتحاد الطلاب الجامعيين في تشيلي، وكان أحد أهم المشاركين في تأسيس نادي أصدقاء الثقافة العربية سويّة مع «بنديكتو شوقي» .

عاش سابيلا البوهيمية بأوسع حالاتها وعن ذلك يتحدث صديقه الشاعر «ماريو فيرور *Mario Ferrero*»(4):

«في شوارع بانديرا التي كانت مركزاً ليلياً لنا، كنّا سابيلا وأنا في مطعم (لا – أنتونيانا)، وهو مطعم تقدّم فيه الفرق الفنية عروضاً راقصة، كان أندرس زبون شرف، يكتب الأغاني وبالتحديد الرومانسية ذات إيقاع (بولِرو) والتي كان يتمّ عزفها فيما بعد أمام (لا انتونيانا) على الملأ عندما تكون الشوارع مليئة بحركة فنانين تشكيليين يرتدون ملابس غير متناسقة الألوان، وتجار متجولين وبنات سيئات السمعة وأساتذة «ممرمرين» وبائعي حبال، وحكواتيين .. الخ.

إضافة لذلك، كنّا نشارك في كل التظاهرات والاجتماعات، إذ من مطعم (لا – انتونيانا) انطلقنا بحملتنا من أجل السلام، وحصلنا على أكثر من خمسمائة توقيع لتأييد نداء استوكهولم الشهير للسلام .

لقد كان لـ (المبشّرين / الواعظين / *Canntos*) مجالس كثيرة في شوارع تشيلي عدا عن تجمعاتهم في الساحات العامة حيث يتحدث جميعهم في آن، لذلك اقترحنا عليهم – سابيلا وأنا – أن يتم التالي: يتحدث كل واحد منهم بشكل متناوب لمرة، ونتحدث نحن الشاعران، مرة فقط.

وفي يوم الأحد اللاحق للاقتراح، وعند الثالثة ظهراً، كنّا وسط ساحة ركاب الدراجات النارية (موتِروس *Moteros*) وفي الجانب الآخر من نهر (مابوتشِ) كان الواعظون في زاويتهم، صعد «أندرس» على حجر وقرأ قصيدة لـ «غابرييلا ميسترال»، وأغانيها عن المناجم، واستمر الإقتراح بأحسن أحواله، إلاّ أن أندرس سابيلا في يومٍ ما، وعند زاوية تقاطع شارع (فرانكلين) مع شارع (سان دييغو) طرأت له حكاية

سيئة بأن يقوم بتكريم النبيذ، مستخدماً مقاطع من أشعار بودلير، اعتقد (الكانوتوس / المبشريين) أنه يريد الاستهزاء بمعتقداتهم، ومن غير أن يقولوا أي شيء انطلقوا صوبنا وكان ما كان .

ماسحو الأحذية كانوا في شارع «باندِرا»، وكان منهم الملقب بـ «قرد الزهور» الذي كان زميل دراسة لـ «أندرس» في كلية الحقوق، لكن إدمان «قرد الزهور» على الكحول جعله لا يجد عملاً إلا ماسح أحذية وحارس سيارات . وكلما شاهدنا ندخل المطعم كان يترك عمله ويأتي ليجلس إلى طاولتنا، كان يضع على الطاولة «قفّازات» يدوية بلونها المتفحم ورائحتها التي لا تطاق والتي لم يطرأ على باله – ولو مزاحاً – أن يغسلها . إلى أن طلب منه «أندرس» أن يجد حلاً لذلك، عندها غادر الطاولة حزيناً ليعود في اليوم التالي وهو يضع «قفّازات» تصل إلى فوق الكوع، واستمر يعمل بهما إلى أن مات .

لقد استمر «أندرس» كطالب مؤبد في دراسة القانون، وكان يفسر ذلك بأنه ليس على عجلة ليصبح محامياً لأن والده كان قد قال له: «عندما تصبح محامياً سأموت من الفرحة»، لهذا لم يتخرج حتى لا يقتل والده!!! فيما يصرّ أصدقاؤه على أن علاماته في الامتحانات الجامعية كانت ممتازة جداً، لأنّ إجاباته «لم تكن أكثر من مقاطع شعرية لرامبو، ولوترِيامون، يقدمها كمحامي دفاع عن الأسطورة بوصفها عنصراً للتمحيص القانوني» .

أحذية المناجم

من أعماله الشعرية الأكثر أهمية «رجل ذو دروب أربعة»، وهي قصائد موزونة ونثرية نشرها في العام 1942 وأعاد طباعتها في 1972 .

يقبض الشاعر فيها بإخلاص وحنين على الفضاءات الضائعة: عالم الروّاد الذين عجنوا حظوظاً كبيرة، عالم مناجم النحاس، الأساطير القديمة لبائعي ملح البارود، أشباح صحراء (أتاكاما) .. في قصيدته «مرثية لأحذية المناجم» يعطي الأحذية رمزاً وجودياً، فالحياة تمشي بين أقمار وشموس الزمن مع استحالة إعادة امتلاك تواريخ أو أسماء:

«لا أعرف أين رأيتها
في أية ظلالٍ للبيت».

لكنها تمتلك شرطاً إنسانياً، فهي عابرة تأتي معنا منذ الأبد، تعبر الطرقات، لها «غبار من مائة عام»، تبذل جهوداً ومعاناة، «تتعرق» لكنها تخفي آثار أشياء عزيزة «شموس عتيقة»، وتحتذي قلق الكائن البشري، حاجاته القاهرة اليومية، البرد، العطش، جوع الطريق، سيرةُ البطيء والمتعب في الطرقات الرملية والصخرية، وكأن الأحذية تمثل تاريخ كل الأموات الذين يطوفون ليل وعزلة الإنسان الذي يسكن الأحلام والشموس المجهولة علّه يصل إلى النجوم في رحلة فنتازية، لكنه يهبط من الماضي البهيّ إلى مذاقات الأباريق العذبة

و«الأعسال الميتة» .. وربما ثمّة هذيان كان ..
الظل في القصيدة، ربما كان رمزاً للحماية الداخلية، ربما أنتج قشعريرة حميمة عند الشاعر عندما يتذكر لون الأحذية وحالتها:

«وأنا أرتجف
أتذكر لونها، لون أعسال ميتة
حالتها التي لجرارٍ فخارية
كي تخبئ الظل».

أي: الوجودية الفسيحة!! لكن على العكس من أمنيات المظلوم تهرب الحياة، الأحلام تفرّ نحو اللاجهة واللا شيء، ربما نحو النسيان، نحو السعادات والآمال التي تبتعد تجاه آفاق أخرى:

«يوم ما
ببطء
هربت الأحذية وحيدة
وكأنّ الحنين سيحتذيها».

طفولة الشاعر تطوف في «حصان في يدي» و«أغاني للبحر كي يلعب معنا» وكذلك «طفل آخر هو البحر»، عدا عن مفردات مثل: حمامة، غيمة، أجراس، «سلطعونات»، جنيات ماء، ريح ..

«يا حسرتي يا حسرتي
على طاحونة الهواء
خبر خطير:
لقد أضاعت الريح».

هذا المقطع القصير يوقظ تناغمات عميقة في الروح الطفولية بصفاءٍ وشفافية وحرفة، لإنها تحتوي على سذاجة / عبقرية وربما سحر:

«قوسٌ مباشر
الغزالة
الهاربة
تنحرف
تقفز أياماً
بلا ضفاف بعيدة وصفراء».

ربما لهذا أرسلت له الشاعرة الكبيرة «غابرييلا ميسترال» تشكره على طفولته الكبيرة:
«قرأت قصائدك واحتفيت بمقاطع عديدة . أشكرك لأنك كتبت أشعاراً لا تنتهي بالميتامورفوزات فقط، بل بالحبّ الخافق في كتاب صغير ولطيف» .
في مجموعته «عند أبواب الغسق» يظهر الطابع السياسي الإجتماعي، ويسكنه قلق اجتماعي كأن الإنسان يفر من بين يديه فيغرف تفعيلاته من التعذيب، من الجور والبؤس والحرمان، وفي «مسيح كسرات الخبز» ثمة ألم كبير مأسور تخرجه مقاطع متقرحة من الموت:

«هنا، شَيِّدوا من الإنسان ركاماً
خلية نحل ستكون أنت
مَقْعداً للغناء
عش الحنان الآتي».

لكنه يمضي أبعد من الحرب، من الحقد، نحو أفقٍ للسلام وللأمل، بخلفية ميتافيزيقية ووجودية نجده متشامخاً يسير مع الغيوم والصحارى كأنه شقيق سهول صحراء (البامبا)، ويفكك أقنعة من السماء لأن الأيام قد فلقت المرايا والموت يلقي التحية عند كل فجر:

«القطار يجأر
هو القطار الذي لن أراه أبداً
ومن شبابيكه يحييني أمواتُ
هذا الفجر».

و«أندرس سابيلا» هو ناثر ممتاز في مجال الرواية في «شمال عظيم» والتي يقول عنها: «في شمال عظيم أردت إيجاد شكل جديد للرواية يتجاوز كل حدود الأجناس الأدبية وغيرها، القصيدة، المقالة، التاريخ، الرمزية على أن لا يكون لها وحدة تجعلها متسلسلة» .
لكنها – «شمال عظيم» – تمتلئ بالشعر الغنائي والملحمي وبالتراجيديا، إضافة إلى وقائع تاريخية، إذ ثمة شخصيات تلد وتغيب لكنها تشكل حياة إنسانية، خيال متكامل . وتزخر بالأفكار الاجتماعية، نضال العمال، الإضرابات، المجازر، الإنحطاط السياسي، ولا يغيب عن الراوي أن يحدثنا عن الفلفل الأخضر؛ الشجرة النبيلة والطيبة كصديقة وفية للإنسان ..
وكذلك يتحدث عن «أرواح» تستحق أن تصبح بذرة للازدهار في هذه البلاد .. يتحدث عن ذلك الذي سقط في الامتحان، عن حرب الباسيفيك، عن تصحّر الحياة الاجتماعية أمام النساء والرجال ..
(بيسنت منجود / *Vicent Mengod*) يقول عن «شمال عظيم»: «إننا أمام شخص جمعي، غامض يقدم مناخاً اجتماعياً يمكن تسميته بالواقعية المقاتلة ..» فـ «شمال عظيم» هي تاريخ، وتوثيق، ورواية، وشعر في

آن وفي روايته «فوق الكتاب المقدس خبز قاس» يأخذ من الحياة أفعالاً مرة المذاق، مربعات درامية، لا تكف عن الوجود رغم السنين والتنامي الاقتصادي السياسي والاجتماعي، فـ «السماء الملّونة» تقدم الحضور الحزين لقسمٍ كبير من الشعب إزاء الثروة واليسر وسعادة القلة.

حاز «أندرس سابيلا» على درجة دكتوراة شرف من جامعة الشمال التشيلية، وتم ترشيحه إلى الجائزة الوطنية للأدب في أكثر من مرة .

عمل أخيراً في كتابة المقالة الصّحافية إذ يقدم نصوصاً خاصة به يسكب فيها شعريته، ديناميكيته ومزاجاً حاداً .

«إنه رجل استثنائي، لكن مأساته الحقيقية هي أن لا يبقي عبارة واحدة في الجيوب» .

ولد في 13 ديمسبر العام 1912 في مدينة (انتوفاغستا – *Antofagasta*) في تشيلي .. من أب فلسطيني وأم هندية حمراء .

درس القانون في جامعة تشيلي، وتخصص في قانون العمل وفلسفة القانون .

في السابعة عشر من عمره أصدر مجموعته الشعرية الأولى (وجهة مترددة – 1930) .

– قُدم نصه (القذارة) إلى المسرح في – 1939 .

صدر له:

سيرة الجرح (شعر) – 1935. غومس روخاس واقعية ورمزية (دراسة) – 1937 . شعبية غومس روخاس (دراسة) – 1939 . الدم وتماثيله (شعر) – 1940. الحد الأدنى للشعرية العظيمة (دراسة) – 1941 . مجاورة الحمام (شعر) – 1941 النجمة السوفيتية (شعر) – 1942 . الرحّالان المتنافران (شعر) – 1943. الشمال الكبير (رواية) – 1944 . تشيلي إقليم خصب – 1945 . قصص للأطفال . حول الكتاب المقدس خبز متحجر (قصص) – 1946 . مارتين غالا (شعر) – 1952 . الحصان في يدي (شعر) – 1953 . بحر تشيلي (مسرحية) – 1953 . شعب الشمس العظيم (شعر) – 1954 . نجمة الإنسان (قصص) – 1954. سيماءات من الشمال التشيلي (شعر) – 1955 قصائد من المدينة حيث الشمس تغني (شعر) – 1963 . أغاني للبحر كي يلعب معنا (شعر) – 1966 . طفلٌ آخر هو البحر (شعر) – 1972 . خوان مارين والجيل الجديد (دراسة) – 1973 . أنت لا نهاية لك (شعر) – 1981 . صولجان المهرج (شعر) – 1984 . على أبواب الغسق (شعر) – 1987 .

مرثية لأحذية المناجم

لا أعرف أين رأيتها،
ولا في أية ظلالٍ
للبيت .
قدموا
ربما معي،
سائرين منذ الزمان
تنبعث منهم رائحة غبار عمره مائة عام،
رائحة التعرق،
والشموس العتيقة .
خفت منها
ظننت:
أنَّه فجأة
سيتقدم عظم الأطراف
ليملأها بالبرودة:
وفيما بعد
اللحمُ
وجوعُ الطريق
ماذا كان تاريخها
تاريخ «الدبش» والرمل؟
هل ركضوا
مع جَدّي؟

هل،
في الليل،
تعذبهم الذكريات،
الشريدة للبلدة
المعلقة بالنجوم؟

وأنا ارتجف،
أتذكر لونها لون أعسالٍ ميتة،
حالتها الجرارية
لتخبئ الظل

يوماً ما
ببطء،
هربت الأحذية وحيدة
وكأن الحنين سيحتذيها .

طفولة (بابا)

دعته
الأجراس
ليلعب معها:
مرتدياً ثياب عصفور
يعبر سماء القدس
يقبل وجنات صديقاته الصغيرات
مرتبكاً بين حشد من الألحان
لكنه
تابع نحو الغيمة.

رسم ذاتي لهذه السنوات

كيف سأبقى وحيداً في هذه الحرب؟
ربما فقط، مع ظلال أناسٍ آخرين!!
أنا مقاتل مقفر
حارس قديم لهذه الأرض

كم قتيل إلى جانبي لا يفزعني؟

لا يفزعني أن أتقاتل مع عشرة أو عشرين
تفزعني اللارحمة لهذه الجبهة،
قروح الأخ التي لا تنغلق ..

هَرَجَ المهرجُ

إذا كان شعبي يلهو مع شدائد
هذه الحياة الجريحة بالجوع،
سأخرج أنا مع شعبي إلى المعركة
وأقول:
أين هو الخبز، زهرة الفقراء،
الحرية الواقفة في الأفق؟

إلى بيتٍ ما

كنت أنت عندما لم أكن أنا
ستكون أنت عندما أنا لن أكون..
أسأل نوافذك عن شمس الذين ماتوا
آخرون سيسألون عني
أكتب اسمي على أسوارك:
هل ستمحوه يدٌ ما، هل ستمحوه الأيام؟

مقبرة مهجورة

فوق البحر، تقريباً، ثمة مقبرة
لذاكرة مقروضة ولـ «اللاذكرة»:
ميناء، هي، لصواري مشؤومة
حيث الكلس يجترح موجات أخرى

أمشي بين القبور رفقة الريح،

خطوتان مني يتبسم الشاطئ!!
إذا كشطت لوعة العظام هذه
ستعثر على البحر، بين ظلٍ وظلْ.

الكرسي

على هذه الكرسي حيث يحلم الزمن
حلم والدي بعش نحلة
اليوم أحلم بالشمس بين الحواجِب
جبهتي شاهدة قبر صغيرة.

إلى كارلوس بثْوا بليث
(*Cárlos´Pezoa Veliz*)

أكتب إليك، كارلوس، خلف الموقد الشتوي
كلهم رحلوا، بقيت في خرابي .
العزلة تعانق الضباب
الآن يبدأ اللا شيء بحق .
أعيش معتماً هذا الموسم
فِزْتُ بهذه الميتة الرحّالة فقط،
مسكين شيطان المهجع والحانوت،
بفزع ظله أمام النظرات .
حشد من حلاجي المرارة والقيد،
الصدر مشوش، وليس الألم
قريباً ستمنحني الأرض اسمها

أريدُ، يا كارلوس، أن تمضي الحياة
في الطيف الهادئ للعوسج،
الشمس بأكملها أن تجالس الإنسان .

سلفادور جيني *Salvador Yanine*
"أبناءٌ آخرون فقدوا أمهم"

في مقدمة «دخان ورماد» المجموعة الشعرية لسلفادور كتب «خوليو باريّنشيا»:

«النظر إلى شعر سلفادور كالنظر إلى مسيل مياه نهر صافية، يمكن رؤية أعماق أحاسيس سلفادور، روحه التي لرجل مبذّر في لطفه، لأنه لا يسعى إلى صناعة أدب زائف، لكنه يغني أحاسيسه الحميمة التي تكشف عن حبه الهائل للحياة وللإنسان» .

أشعاره لها إيقا ع حنيني عميق تُغيث الأشخاص والأشياء الحبيبة: الأم، الخطيبة، مرحلة المراهقة، مسافر دائم يبحث عن آفاق وإبحارات، غنائيته بعيدة عن التصنع .

ولد في (عين كارم) 1910/10/27، وصل إلى تشيلي وعمره 3 سنوات، واستقر في منطقة (تشيّان / *Chillan*)، تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي فيها .

عمل كبائع قماش متجول مثل الكثيرين من المهاجرين الفلسطينيين والعرب، حيث يقول سلفادور: «كي أحصل على الطعام لي ولعائلتي، كنت أبيع وأشتري أشياء كثيرة، هذا أجبرني على الترحال المتواصل بين المدن المجاورة . لكنها كانت فترتي الأكثر إبداعية رغم التضحيات الكبيرة. في كل جولة كنت أنتهز الفرصة لتحللي من العمل كي أكتب، كنت أذهب إلى أدراج الفندق الباردة والرطبة وهناك كتبت الكثير من القصائد»، والتي نشرها في مجلة (دروب *Rumbos*) .

ثمّ يتمكن لاحقاً من تأمين أقساط دراسته الجامعية، لكن في الفترة الصيفية فقط، وأكمل اختصاص «التجارة الخارجية» ليصبح فيما بعد أحد مؤسسي «البنك العربي التشيلي»، تبوأ منصب نائب رئيس المعهد العربي – التشيلي الثقافي، ولم يمنعه ذلك من مواصلة إبداعه الشعري .

من مجموعته الشعرية «دخان ورماد» الصادرة في (سانتياغو دهِ تشيلي) 1979 اخترنا هذه القصائد .

قنديل الروح

أنا مسافر لا يكلّ بين خطوط الطول والعرض المجنونة .
بين آفاق مكتظة وبحار غامضة .
قلبي ميناء لتحط الأحزان
وعيناي منارتان ترقبان المسافات .
أيادي المجد لم تلمس ملامحي
ولم ترش الحلوى على أحلامي، كحكايات «حادس» والحوريات .
صارت حياتي قصيدة دائمة للشكاوى ،

نحيب رجل مغمض العينين .
مسافرٌ حجري القلب برسالته التي للنجوم ،
قلبي قاربٌ يلتقط الذكريات الراسية .
يومٌ، هنا، لكن من يجعل اليوم الآخر مستقراً ؟؟
روحي خليجٌ يموت فيه طائر القطرس البحري .
عشيقاتٌ رششن الحلوى على حياتي كبحّار ،
بالمداعبات غطيّن المبحر الحنون ،
وعند الركض من الزمن، رمادٌ أنا من حبهن ،
ماذا يهم أن تشفى جراحي بقبلاتهن؟؟

وهبن حياتي مواساة منعشة
عشقنني ومضى كلُّ شيء، ببساطة معهن ،
لا يمكن للنسيان أن يتجاهل جذوتي .

مرثية لوالدتي

أبكي آلامك، وأبكيني، أيضاً
أبكي عينيك الرائعتين مغمضتين في التراب،
ابتسامتك التي تنير لي الآن خريفي ،
تجوالك، تجوال سيدة جليلة، ذراعيك الحنونتين أبداً .

هذه الليلة من كانون الثاني، الليلة الموحشة جداً والمأساوية،
المليئة ببلواها المشعوذة، سقطت علينا ،
قوى الأرض الباطنية، هزّت قاعنا
أنقاض مدن وجثامين كوّمتها الفظاعة
أبناءٌ آخرون فقدوا أمهم الغالية ،
رجال، نساء التصقوا بخوفهم ،
أطفالٌ، شيوخ والبيوت فوقهم
خطيبات بقين بلا عريس ولا حفلات.
أمي

تعرفين جيداً، أنني كنتُ أدور في جولاتي
الطويلات كما تشاء حياتي المسافرة
ربما، أقول لنفسي أحياناً: كان لي أن أنقذك
مراتٍ أخرى أقول لنفسي: كان لي أن أموت معك .

رحلتِ يا أمي كصفيرٍ ليلي .
كحلمٍ خفيفٍ بأجنحة من ورق
العصافير هربت فجأة مع زقزقتها
وفي روحي انطفأت أنوار سمائك

طالما أحببتك، يا أمي، وأنت تعرفين ذلك عزّ المعرفة .
أحببتك بوَلَهِ طفلٍ تهيأ في رحمك
حبك كان شاسعاً لطفلٍ بين ذراعيك
وحبّي كائناً بشوشاً قبالة نهدك
ما أحزن أن تنأين دون أن أغمض عينيك ،
في رحلات ضائعة في دولاب الزمان !!
ربما، أقول لنفسي أحياناً: كان لي أن أنقذك
مراتٍ أخرى أقول لنفسي: كان لي أن أموت معك.

* * *

أولغا لولاس *Olga Lolas*
هنا أو هناك .. الرّمل أعمى

شاعرة وأكاديمية تشيلية من أصل فلسطيني، حصلت على الدكتوراة من الجامعة المركزية – مدريد / إسبانيا. نشرت دراسات مهمة عن الثقافة العربية. (الرؤية الواقعية في «نبي» جبران خليل جبران).
صدر لها شعراً: «عزلة» (1943). عندما يموت القمر مكتملاً (1949).

الظل الأخير

أنا لم أطأ أبداً
الصحراء
وعلى أية حال
أجيء من «حتى»
من الـ«بُدَّ»
بلا اسمً
حيث الشمس
تتضرج
حتى تصل
الأقدام النائمة
للهلال .

أجيء أنا
من بؤبؤ الحلم
من شذى
القلب الذي يستريح
في الآبار
العميقة، ألفيات
من الظلال الباهتة
التي لا تزال تعبر
وتعبر
في دمي
القوافل الأَرِقة
للقدر.

أجعل صوتي يرّن
وضربة من الضوء
تستحضر حشوداً من صمت

الذين سيأتون
ليحصدوا الموت
وزراعته لوعدٍ
يزهو .

عيون الشبح
فتّتت الحجارة
والظل العابر
للذكرى ظَلَّ
معلقاً بأغصان
شجرة ذابلة
بينما الدم مهذار
كان يبحث عن
نهد الأرض
حيث الموت أخيراً
لا اسم له
ولا شكل .

فقط القدر هو قوته
المريعة، فقط الصراخ
يصل غير متخمٍ
يوقظ في الناس
ازدهاراً
له جذور
وماء حيّ
ليرحم
العطشى
يُجيبون
العيون الصمّاء
للحب

من غير تهتّك
وكلمته
التي أبداً
لن تستهلك .

هنا أو هناك
الرمل الأعمى
سيّان
لا يغني
لا يقول ولا يعرف
متى الفتراتُ
تنتهي أو يمكن
للريح أن توقظ
الأموات .

لأنه فقط
فقط الذي يعاني
ينتظر
الواحة الأخيرة
الجرح الأخضر.

سائرة أُدعى
سائرون كلّنا
أمضي أبحث
أثري
فوق الرمل
يسائل
عيون الإبل
وفقط تفتح لي
طرق السموات العريضة

إلى شحنتها
من الظلال .

أبي وأمي
هما كلّ
الأرض
تجولت بين يدي
والدي
وفي عيون أمي
نما البعاد .
كان ظلي
في مرايا غرناطة
ويسوع الفوانيس
عثر عليَّ في ليلته .

يُخرج لي من المزاح
صحراء وطريقاً
دائماً العيش
في العبور
لهذا أو لذاك
النهايات
بدءاً من كينونتي هنا
ذات القمة والثلج
أُلاحقُ أحداً لا أدري
مَنْ ...

النهر المجهول
لجرحي المفتوح
ونواياه الخفية
تمخر بي

الرياح، الصدفة
نسغ الخشب
«يمكنه إغلاق عيوني» ...
بينما أحدهم
متلمظٌ بعيد
يَدخل باكياً
في الظلال الصماء
للجدران القديمة
لم أعد
أميز الحنين
العربي لصوت القلعة هذا
يُوَدِّعُ
نثاث ألحان
لآلة العود
و «الظلّ
الأخير» .

* * *

فريد نصّار
رحمة للذين لا بَعْدُ لهم

«فتحتُ نافذة على الحياة في ميناء «تالاكاأونو» بعد فجرٍ واحد من أعياد الميلاد، وعندما البحر كان صموتاً يبحث عن الشاطئ، كانت تياراته الخفية تبدو لي كأنها تجمع الألعاب الاصطناعية . في سنواتي الأولى كنتُ أتسلى بالنظر إلى المراكب وإلى ما كانت تخطه في الماء، وكنت أشم رائحة سمكة صغيرة منسية في الشباك .

المدرسة التي تعلمت فيها ألف باء، أظهرت لي طيفاً آخر لوالدي، كما أظهرت مشاكلي الأولى مع مادة الحساب، قرأت بودلير، أبو لينير، رامبو، ملارميه، وقد استطعت أن أقرأ شيئاً باللغة الفرنسية .

لوركا كان أفضل مدرسٍ لي في الموسيقى والتي لم أستمع إليها كأنها مخلوقة للتشريفات» .

هكذا يتحدث الشاعر فريد نصار عن نفسه، لكن الناقد (فيكتور مولينا نيرا / *Victor Molina Neira*)

يقول: «شعر فريد نصار يجد جذوره في الأرض والإنسان، إنه شعر حميمي واجتماعي، تتعايش فيه الأحلام الغنائية ومخيلة الطفولة، وبالتواجد الطارئ لليومي الأكثر فقراً وتهميشاً، شعر فريد أغنية حب وصرخة تمرد . العناصر السالفة واليومية يقوم بتصريفها ليقدم رسالة إيمان وتفاؤل للقدر الإنساني . يمكن تصنيف أشعاره بأنها ذات بعد إنساني، حيث الإنسان هو مركز قلقه الشعري، لكنها تعالج في مقام أول الإنسان الذي تهمش، وكذلك حالات العزلة، واللاّ حب، والفقر، والمعاناة» .

ولد فريد نصار في 26/ديسمبر/1952، درس علم تربية اللغة الإسبانية في جامعة تشيلي، شغل منصب مدير المسرح الجامعي في جامعة الفرونترِا، وكذلك مدير فرقة مسرحية للكبار في مدينة (كوراكابي *Curacavi*) .

صدر له: في نهاية الفانتازيا حيث تبدأ العزلة 1977 – أطياف الصمت 1978 – اعترافات الذي أعيد انتفاؤه 1979 – صلوات سيمفونية ومسرحية 1981.

رحمة

من لا يأمل أن ينتصر منتصرٌ عليه
«ليس شهيداً من يصل إلى حتفه
دون أن يكون قد تعارك في الطريق»
إنني أُفصّل تابوتاً من خشب شعبي
الأكثر مقاومة
كي أدفن الدبابات في صحاراي
أو في نفس الخنادق
التي فيها روى الموت عطشه الآتي من قرون
أجيء من جلبة رحمة:
رحمة للأنهار
رحمة للمصانع
رحمة لهذا الكتاب
الذي أثار عواطف أجيال
رحمة للحب
حتى لو كان للحب السيئ
لهذه المرأة
التي تركتني وحيداً

في مواجهة عالم عينيها
رحمة
حتى لو كانت للقبل المحْبَطة
أو للأرق الأكثر جنوناً
رحمة للرسائل
التي تجلب آخر الأخبار
وللأيادي التي تنتظر قلقةً
وفوق كل شيء
رحمة
للذين لا بَعْدُ لهم.

جيل

وُلدنا
عندما أجدادنا
– أسياد عبيد الغابة –
قرروا
أن يتقارب سكناهم
ليتحدثوا قليلاً
نهاية اليوم .

خطبة قبل المعركة

إلى شعب الهنود الحمر (مابوتشِ)

كأنني أمسح
عينيّ
من غبار الهزيمة
أجدني ثانية
مع النصر .

دفاع كولمبوس

إثنان أو ثلاثة يدققون .
كولمبوس
لم يكن له ذنب
بحثَ عن السلالات، فقط
الإثنان أو الثلاثة المدققون لطاولة سيد العبيد
وعثر على أمريكا:
صحن كبير وأصيل
بلا توابل
بلا أملاح ولا بهارات .

---

(1) متيّاس رفيدي: شاعر وأكاديمي من أصل فلسطيني .
(2) مصدر سابق .
(3) مصدر سابق .
(4) مجلة الأمة – العدد الثامن 1965 .